البعد التربوي لآثار الأمم السابقة والآثار الإسلامية في القرآن الكريم

The educational dimension of the effects of previous nations and Islamic monuments in the Holy Qur'an

سمير أبيــش

جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل

Samir.oubbiche@univ-jijel.dz

جمال تالي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

djameltali@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/09/06 تاريخ القبول: 2021/09/14 تاريخ النشر: 2021/09/19

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى إبراز التناول القرآني للآثار والمخلفات المادية الإسلامية وللأمم التي سبقتها، كآثار ديار عاد وثمود ومسجد قباء ومواقع المعارك الإسلامية ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف أمكن لهذه الآثار أن تشكل أبعادا تربوية في حياة الفرد المسلم، وتساهم في تنشئته التنشئة الاجتماعية الصحيحة من خلال الاعتبار بهذه الشواهد التاريخية.

ولقد بينت هذه الورقة من خلال الدراسة التتبعية لمجمل الشواهد والآيات القرآنية أن هذه الآثار تعكس لها أبعادا تربوية مختلفة، تجعل المسلم موصولا بتراث أجداده ومتشبعا بقيم ثقافته ومحافظا على هويته وأصالته، ومدركا لعبقرية أسلافه ومستلهما منهم الدروس والعبر.

كلمات مفتاحية: الآثار الإسلامية، القرآن الكريم، المجتمع المسلم، التربية، التنشية الاجتماعية.

Abstract:

This paper aims to highlight the Qur'anic approach to Islamic material and material relics and the nations that preceded them, such as the monuments of Diyar Aad, Thamud, Quba Mosque, the sites of Islamic battles and the path of the Prophet, peace be upon him, and how these monuments could constitute educational dimensions in the life of the Muslim individual, and contribute to his upbringing the correct social upbringing. By taking into account these historical evidence.This paper has shown, through the sequential study of the totality of the Qur'anic evidence and verses, that these effects reflect different educational dimensions that make the Muslim connected to the heritage of his ancestors, imbued with the values of his culture, preserving his identity and originality,

aware of the genius of his predecessors and drawing from them lessons and lessons.

Keywords; the Noble Qur'an ;Muslim society; education ;socialization

1. مقدمة:

لقد تعددت قصص الأمم السابقة وقصص البدايات الأولى للحضارة الإسلامية في القرآن الكريم وتنوعت واختلفت وقائعها ومقاصدها التي سيقت من أجلها، وتعددت معها موضوعاتها وأبعادها التربوية التي قامت بمعالجتها، بين الموضوعات الاجتماعية كما في قصة سيدنا لوط وسيدنا شعيب والاقتصادية كما في قصة سيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا يوسف عليه السلام والعقدية كما في قصة سيدنا موسى عليه السلام والسياسية كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام وغيرها، كما ساق لنا القرآن البدايات الأولى للإسلام فحدّثنا عن الهجرة وبناء المسجد ومواقع المعارك مع الكفار وغيرها من الموضوعات، وبيّن القرآن أن ذكر هذه القصص والآثار ليس من قبيل التسلية والترف الفكري، وإنما من أجل الاستفادة منها في حياة المسلم والاعتبار بها قال تعالى﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

إن هذا الاعتبار والأثر الذي تتركه هذه القصص على حياة المسلم كان سهل الوقوع عندما كان المسلمون قريبين جدا من نفحات وبدايات الإسلام الأولى ويوم كان الوحي متصلا بالأرض، غير أن الواقع اختلف اليوم كثيرا، ولأن الأخبار وإن كانت صحيحة يفقدها طول الزمن واتساع المدة رمزيتها ومدلولها إذا لم تصاحبها الصورة الواقعية، وكذلك النفس البشرية يلحقها الصدأ ويعتريها الوهن بفعل السنون إذا لم تجد المنبه قال تعالى﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولو كانت الأخبار تكفي وحدها لما عدّد الله مصادر المعرفة من السمع إلى البصر﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقديما قالوا ليس من رأى كمن سمع، إن هذا الأمر هو الذي يجعل من الآثار رافدا مهما من روافد التربية الاجتماعية التي من

شأنها الحفاظ على هوية المجتمع وحمايته من الضياع والذوبان في ثقافات أخرى خاصة مع تهديدات العولمة الثقافية للمجتمعات الإنسانية.

ومن أجل مناقشة هذه القضايا الإشكالية حاولنا أن نقدّم هذه الورقة البحثية لنعالج من خلالها البعد التربوي لآثار الأمم السابقة والآثار الإسلامية في القرآن الكريم ونبرز العوامل الداعية إلى العودة والالتفاف حول الآثار خلال هذا العصر.

2. تعـــريف الآثـــار:

1.2 تعريف الأثر: لغة:

الهمزة والثاء والراء، لها ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، فالأول وهو تقديم الشيء: كأن تقول افعل يا فلان هذا آثِراً ما، والثاني وهو ذكر الشيء: ومنه قول ابن عمر رضي الله عنهما: « ما حلفت بعدها آثِراً ولا ذاكراً » فقوله: آثِراً: أي مخبراً عن غيري أنه حلف به، والثالث وهو رسم الشيء الباقي: قال الخليل: والأثر بقية ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة، والآثار الأثر، كالفلاح والفلح، والسداد والسدد، قال الخليل: أثر السيف ضربته، وتقول: من يشتري سيفي وهذا أثره، يضرب للمجرب المختبر، وقال الأصفهاني: أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده، يقال: أَثَر وإِثْرٌ، والجمع: الآثار[1]، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى أَثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا ﴾[2]، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي ﴾[3]ومن هذا يقال: للطريق المستدَل به على مَنْ تقدم: آثار، نحو قوله تعالى:﴿ فَهُمْ عَلَى أَثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70)[4] وقوله تعالى:﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي ﴾[5]

2.2 تعريف الآثار: اصطلاحاً:

تمثل الآثار إحدى مكونات التراث الثقافي المادي، كما جاء طبقا لاتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي(اليونسكو1982)، والتي عرفت الآثار بأنها الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير على المباني والعناصر أو التكوينات ذات الصفات الأثرية، والنقوش، والكهوف، ومجموعات المعالم التي لها جميعا قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن.[6]

ويضاف إليها المجمّعات التي هي مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم بسبب عمارتها أو تناسقها أو اندماجها في منظور طبيعي.

وكذلك المواقع التي هي أعمال الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة، وأيضا المناطق التي يوجد بها المواقع الأثرية التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر التاريخية أو الجمالية أو الأنثربولوجية.

كما تتكون الآثار بوصفها تراثا طبيعيا طبقا لاتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي(اليونسكو1972) من:

1)- المعالم الطبيعية: التي تتكون من التشكيلات الفيزيائية أو البيولوجية أو من مجموعات هذه التشكيلات التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر الجمالية أو الفنية.

2)- المواقع الطبيعية: وهي المناطق الطبيعية المحددة بدقة، والتي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم أو المحافظة على التراث أو الجمال الطبيعي.

وأما الآثار بوصفها تراثا عمرانيا فإنها تعرف بأنها(كل ما شيّده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية) ويتم تحديد هذا التراث تحت ثلاث مستويات:

1)- المباني التراثية: وتشمل جميع المباني والمفردات المعمارية التي لها خواص أثرية وتاريخية وعلمية وفنية واجتماعية والبيئة المرتبطة بها.

2)- مناطق التراث العمراني: وتشمل هذه المناطق كل من الأحياء والقرى والمدن التي لها أهمية أثرية وتاريخية وعلمية وفنية واجتماعية بكل مكوناتها على المستوى العمراني كساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات وغيرها.

3)- مواقع التراث العمراني: وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الإنسان.[7]

3. الآثار الإسلامية: يقصد بالآثار الإسلامية جميع الأعمال المعمارية الإبداعية والأماكن والمواقع والمناطق والمنتجات الأثرية التي ترمز إلى تاريخ الحضارة الإسلامية عبر

تاريخها الطويل وفي مختلف الأماكن التي بلغتها، مثل المساجد وهي أبرز الآثار الإسلامية دلالة حول الإسلام وحضارته، والقلاع والحصون التي تحكي حروب المسلمين والمكتبات والمدارس العتيقة والحدائق كالمسجد الأموي بدمشق وقصر الحمراء بالأندلس وقبور الصحابة والزخارف الإسلامية والكتب المخطوطة بالخط العربي الجميل والأدوات الطبية والعلمية التي صنعها العلماء المسلمون ومختلف المناطق الجغرافية التي تروي تاريخ الحضارة الإسلامية كمواقع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وطريق الهجرة وطريق التجار المسلمين إلى بلاد الهند والصين وغيرها.

صورة توضح بعض الآثار الإسلامية([8])

4.الآثار في القرآن الكريم:

يقصد بالآثار في القرآن الكريم آثار الأقوام والأمم والبدايات الأولى للإسلام التي ذكرها القرآن الكريم بحيث أصبحت تمثل لناظرها كتابا منظورا، أو كأنه يقلب صفحات المصحف الشريف وهي تسرد أحداث هذه القصص عند مشاهدة هذه الآثار، وفي مجملها هي آثار قصة سيدنا آدم عليه السلام وأهمها جبل عرفات والبيت الحرام الذي كان آدم أول من أقامه على هذه الأرض، وآثار قصة سيدنا نوح عليه السلام وأهمها جبل الجودي (الذي يقع عند ملتقى الحدود السورية التركية حاليا على الضفة الشرقية لنهر دجلة

ويرى جبل الجودي بوضوح من بلدة(عين ديوار) السورية)[9]، وآثار الطوفان الذي اكتشفت مؤخرا في قاع البحر الأسود، ومساكن عاد قوم هود عليه السلام التي تحكي قصتهم وهي معلومة اليوم في حضرموت، ومنازل ثمود قوم صالح عليه السلام بين الحجاز والشام جنوب شرق أرض مدين التي تقع شرق خليج العقبة، ومساكنهم ظاهرة إلى اليوم منحوتة في الصخر كما أخبر القرآن الكريم عنها[10]، وآثار قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبنائه وأحفاده من بعده وأغلب قبورهم ومدنهم وقراهم التي سكنوها معلومة إلى اليوم في مصر والعراق وفلسطين والأردن والحجاز، وأمّا أهم آثارهم الإسلامية فهي دون شك الكعبة التي بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وجبل الصفا والمروة وبئر زمزم وموقع فيه لهاجر زوج إبراهيم، وآثار سليمان وأبيه دوود عليهما السلام وأهمها بيت المقدس، وآثار قصص أيوب وذو الكفل ويونس ومدينته نينوى بالعراق وزكرياء ويحي وعيسى عليهم السلام جميعا وقصة لقمان الحكيم وقصة مدينة إرم وأصحاب الرس وقوم تبع ويأجوج وماجوج بتركيا وهاروت وماروت ببابل العراقية وأصحاب القرية بأنطاكية وآثار أهل الكهف وأصحاب الأخدود بنجران وأصحاب الجنة باليمن وأصحاب الفيل جيش أبرهة الحبشي الذي حكم اليمن وأراد هدم الكعبة ومسار رحلة الشتاء والصيف من اليمن إلى الحبشة ومن الشام إلى العراق، وأمّا الآثار الإسلامية فأهمها المسجد والبيت الحرام قال تعالى﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96)﴾[11] وقوله تعالى﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97)﴾[12]ومكة المكرمة والطائف قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31)﴾[13] وبيت المقدس وما حولها من الأرض قال تعالى﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) ﴾[14]وطريق الهجرة والغار الذي نزل به الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه قال تعالى﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)﴾[15] ومسجد

قباء أول مسجد في الإسلام﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) ﴾[16]وموقع غزوة بدر الكبرى قال تعالى﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)﴾[17] وموقع غزوة أحد قال تعالى﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) ﴾[18]وموقع غزوة الخندق قال تعالى﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[19]وديار حمراء الأسد قال تعالى﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) ﴾[20] ومنازل يهود بنو قينقاع قال تعالى﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) ﴾[21]وبنو النضير قال تعالى﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) ﴾[22]ويهود خيبر قال تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) ﴾[23]ويهود بنو قريظة

قال تعالى﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)﴾[24] وموقع صلح الحديبية قال تعالى﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) ﴾[25]وموقع غزوة حنين قال تعالى﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)﴾[26] وقبور شهداء أحد.

5. لماذا الاهتمام بالآثار الإسلامية:

يحتل القصص القرآني بين مواضيع القرآن الكريم مكانة بالغة الأهمية، ففي الوقت الذي خصص التقسيم القرآني الحديث عن المعاملات والتنظيم الاجتماعي الربع الأول ولتوحيد الله والبناء العقدي الربع الرابع والأخير، استأثر القصص القرآني بما يشتمل عليه من ذكر لقصص الأنبياء والمرسلين والصالحين والأمم والشعوب المؤمنة والكافرة وأحداث السيرة النبوية وغيرها بالربعين الثاني والثالث، وذلك للأثر الكبير الذي يلعبه هذا القصص في الدعوة الإسلامية وفي التأثير على حياة المسلم وحتى غير المسلم، قال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾[27]، وكما تلعب مئاثر وأخبار الأمم والشعوب التي ذكرها القرآن الكريم دور بالغا الأهمية بالتأريخ لهذه الأقوام وحياتهم وتجاربه التي عاشوها والدروس والعبر المستخلصة منها، فإن لآثارهم المادية التي خلّفوها أو حفظت لهم شأنا لا يقل أهمية عن ذلك، إذ تروي بالدليل المادي تلك الأخبار وتوثّقها أكثر وتجعلها أكثر رسوخا في عقول الناس وأبلغ تصديقا في قلوبهم، ولذلك قال الله تعالى عن قصة فرعون﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) ﴾[28]، فالله سبحانه تعالى أراد للناس أن يعتبروا كثيرا من قصة فرعون، الذي بلغ به الظلم أن ادّعى الألوهية والربوبية وهي أعظم ذنب يمكن أن يرتكبه بشر، حيث جاء على لسانه﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ

إِلَهٍ غَيْرِي﴾[29]وقال أيضا في موضع آخر﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26) ﴾[30]، فلعظم الذنب الذي ارتكبه هذا الظالم ومن أجل تحذير غيره من الوقوع فيه، ذكر الله لنا أن مجرد ذكر خبره وتناقله بين الناس لا يكفى لأن يكون عبرة لهم، وإنّما آزره بدليل وأثر مادي يكون شاهدا على عاقبة فرعون ومن سلك سبيله، ثم إن الآية التي بمعنى العبرة في قوله تعالى﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ تشتمل الآية والأثر المادي والمعنوي معا وهو ما دلّ عليه قول الله في سورة فصلت﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) ﴾[31]، ثم إن الله كما أمرنا بالاعتبار بأحاديث القصص القرآني وبيّن لنا أنه هدى ورحمة للمؤمنين، فقد أمرنا أيضا بالسير وتتبع آثارهم وذلك في أكثر من موضع في كتاب الله، قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21)﴾[32] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9)﴾[33]، ولقد جاء ذكر الأثر الخاص بالتراث المادي صريحا في هذه النصوص، وكما أن الاعتبار في الآيات الأولى جاء دالا على التفكير والتدبر وإعمال العقل فإن فعل السير في الآيات الأخيرة يحتمل الجانب الحسّي أكثر، فنحن نسير إلى الشيء بأقدامنا لنتفقده ونتحسسه لا أن نسير إليه بعقولنا.

وأمّا الأهمية الأخرى التي تجعل من الآثار والتراث المادي أكثر تأثيرا وأكثر بلاغة وإقناعا من التراث المعنوي أو الشفوي هو اعتماده على حاسة البصر التي هي قطعا أكمل وأصدق من حاسة السمع، وإذا عدنا إلى التشريع الإسلامي نجد أن الإسلام في حد الزنا لا يقرر العقوبة إلاّ إذا صاحبتها شهادة بصرية(ثبوت الرؤية) إلاّ للزّوج فيكفيه اللعان،

واعتبر الشهادة دون إقرار الرؤية قذفا، فعندما يتعلّق الأمر بحد من حدود الله فإن الإسلام يشدد على عباده حتى لا يتساهلوا في التعرض على أعراض الناس التي أعدّها إحدى الكليات الخمسة، ولو كانت حاسة السمع أقوى من حاسة البصر أو مساوية لها لقبلها الإسلام هنا، وإذا عدنا إلى علم الحديث الذي وضعه أصحابه من أجل الوقوف على أحاديث المصطفى التي تمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع والشارحة لما أجمل في كتاب الله، وذلك بتميز الصحيح منها والضعيف والمكذوب وغير ذلك، حتى يتمكنوا من بناء أحكامهم على قواعد سليمة، فقد (اتفق جمهور العلماء على أن الجامع الصحيح للإمام البخاري هو أصح الكتب بعد كتاب الله)[34]، وقدموه حتى على صحيح مسلم، ومن الخصائص التي جعلت كتاب البخاري يتقدم كل الكتب حتى صحيح مسلم، هو اشتراط البخاري في قبول الحديث عمن روى عنهم اللقاء ولو مرة واحدة عمن يرون عنه، عكس غيره كمسلم الذين لا يشترطون ذلك فكانا سببا في رجحان كتابه على كتبهم.

إن جميع هذه النصوص التي ذكرنها تدل دلالة واضحة على أهمية الآثار ودورها في حياة المسلم وأسبقيتها على التراث الشفوي المنقول التي تعدوا مدعمة له وشاهدة على صحته.

6. البعد التربوي للآثار الأمم السابقة والآثار الإسلامية:

1- ربط حاضر الأمة بماضيها وتعريف الأجيال الحالية بعبقرية الأجداد، وهو ما من شأنه المساهمة في تجدير العمق الحضاري لأفراد الأمة الإسلامية ويجعلهم أكثر ارتباطا واعتزازا بحضارتهم وثقافتهم الإسلامية، فمن غيرها إلاّ الآثار الإسلامية التي تركها الأجداد شاهدة عليهم في أماكن مثل إسبانيا وروسيا والهند وغيرها من البلدان البعيدة التي شهدت يوما الحكم الإسلامي، تعرّف الأجيال الحالية بتاريخ أجدادهم وأن المسلمين قد حكموا يوما ووصلوا إلى هذه المناطق، فلو قصصنا اليوم على بعض الشباب المعاصر بأن المسلمين الذين يعانون اليوم من أكبر درجات التخلف قد كانوا يحكمون إسبانيا والبرتغال وغيرها من البلدان الأوروبية المتقدمة ما كان له أن يصدّق ذلك لولا آثارهم التي تشهد على ذلك، وعن ذلك مثلا كتب أحد علماء الآثار عن المسجد الجامع في قرطبة بإسبانيا قائلا:(لم يخلد أثر من الآثار الإسلامية في كتب التاريخ كما خلد المسجد الجامع بقرطبة، فقد كتب

عنه جميع مؤرخي العرب في المغرب والأندلس ووصفوه وصفا دقيقا فاق كل وصف ولولا أن هذا الأثر الجليل ما يزال قائما حتى اليوم تشهد عناصره بصدق أقوالهم لكنا قد اعتبرنا هذه الأوصاف ضربا من الخرافة أو نوعا من المبالغة الخيالية)[35]، وقصر الحمراء في غرناطة الذي بناه بنو الأحمر بعد استقرارهم في منطقة بأطراف غرناطة تسمى الحمراء ومنها جاء اسم الحمراء وهو أحد القصور الكثيرة التي شيدها العرب في بلاد الأندلس عندما كانوا يعيشون في تلك البلاد في العصور الوسطي ومن خلال هذا القصر ندرك قيمة ما كان للعرب من فضل على الحضارة الإنسانية في تلك الحقبة من الزمن[36]، ومثله مسجد قوة الإسلام في دلهي بالهند ومسجد السلطان عمر سيف الدين في سلطنة برناوي ويبقى تاج محل واحد من قمم العمارة الإسلامية الشاهدة على الإسلام في الهند وحضارة المسلمين هناك.

إن هذا الربط بتراث الأجداد والوعي بقيمته من شأنه المساهمة في عودة المجد العلمي والمعرفي والفني لحياة المسلمين مرة أخرى، وهو ما بينته شخصيات علمية ومهتمة بالبناء المعاصر، أكدت جميعها على أن فن العمران الإسلامي عكس ذوق الإنسان المسلم، مشيرين إلى أهمية استلهام الماضي من هذا التراث بغرض عودة الأمة الإسلامية لسابق عهدها الريادي.

ويرى أستاذ علوم الآثار بجامعة القاهرة د. صبري عبد الواحد أن التراث المعماري الإسلامي يعكس فن وذوق الإنسان العربي والمسلم بشكل عام، منبها أن التراث المعماري الإسلامي المتمثل في المساجد كجامع الزيتونة والمسجد الأموي والجامع الأزهر، فضلا عن المساجد الشاهقة في إيران والأندلس تعكس جذور الحضارة الإسلامية التي لا تستنكف من الاستفادة من الحضارات القديمة، لافتا إلى أن البناء الإسلامي القديم رغم أنه استمد من فنون العمارة الفارسية والإغريقية فإنه في نفس الوقت وضع اللمسات الإسلامية، مؤكدا أن إبداع علماء الإسلام في العمارة جعلهم يتفوقون على فنون العمارة المكتسبة من الحضارات القديمة.[37]

2- الدعوة إلى الله والمساهمة في نشر الإسلام: قد يكفي المسلم الموحّد من أجل الامتثال في حياته لدين الله دليل نقلي من إحدى مصدري الدين الأساسين الكتاب والسنة، أما غير

المسلم من الملاحدة وغيرهم فإنه لا ينفع معهم مثل هذا الدليل، لأنهم لو آمنوا بدين الله أصلا ما شككوا فيه ولا رفضوا تعاليمه ولنا في قصة الحديبة وما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمر عبرة في ذلك، فعندما أمر النبي الكاتب في الصلح بأن أكتب هذا ما تصالحا عليه رسول الله، قال سهيل بن عمر لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، فغير المسلم إذا يكون بحاجة إلى دليل عقلي أو مادي أكثر منه عقلي، وهو ما يجعل القصص التي تناول القرآن الكريم أحداثها وقد مرّ على بعضها قرون ولم يكن أحد من البشر شاهدا عليها وتطابق وصف القرآن مع الآثار المادية لها دليلا قاطعا على وحي الله ونبوة رسوله، ومثال ذلك مثلا حديث القرآن عن طوفان نوح الذي وقع مند القرون الأولى من سكون البشر كوكب الأرض(لتنقل وكالات الأنباء المرئية في الفضائيات والمسموعة يوم الأربعاء 2000/09/13 خبرا مفاده العثور على مدن كاملة مغمورة في قاع البحر الأسود، قال العلماء المكتشفون لها، إنها تثبت الطوفان كما ورد في الكتب المقدّسة) خاصة وأن مواقع هذه المدن تتوافق مع المواقع التي ذكرها القرآن، ومثل ذلك مواقع قوم هود وهم عاد الذين ذكر القرآن آثارهم وهي مازالت إلى اليوم مزارا في شمال حضرموت يزورها الناس، قال تعالى عنها﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) ﴾[38]، ومساكن ثمود قوم صالح بين الحجاز والشام جنوب شرق أرض مدين التي تقع شرق خليج العقبة، ومساكنهم ظاهرة إلى اليوم منحوتة في الصخر كما أخبر القرآن الكريم عنها[39]، قال تعالى عنهم ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) ﴾[40]

فهذه القصص وشواهدها من الآثار الدالة على صدقها كانت سببا في إسلام العديد من الباحثين والعلماء في الغرب، الذين أوصلتهم بحوثهم إلى الإيمان بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون كذبا أو يصدر عن بشر لم تكن تحت يديه الأدوات العلمية المتطورة التي تمكنه من الكشف والوصول إلى مثل هذه الحقائق التي استغرق العلم الحديد سنينا وربما قرونا من التنقيب والبحث المتواصل للكشف فقط على البعض منها، وهو ما جعل أغلبهم يشهر إسلامه ويعلن دخوله إلى هذا الدين، ويجعلنا نقول أن الآثار التي ذكرها القرآن تمثل اليوم في عصر العلم واحدا من أعظم الدعاة إلى الله ومن الأساليب التي وجب الانتباه إليها في نشر وتبليغ الإسلام إلى غير المسلمين وهي من أعظم الأبعاد التربوية للآثار.

3- إن الفرد المسلم قد تعتريه لحظات من الضعف أو الفتور في إيمانه، يحتاج معها إلى منبّهات تعمل على إعادة تنشيط إيمانه وتقوية بواعثه في النفس، يستشعر معها بطاقة تملأ قلبه وتدفعه إلى العمل والعبادة، وذلك خاصة مع الفتن الكثيرة والملهيات التي تشغل المسلم في هذا العصر.

وتوفّر القراءة الأثرية لمواقع وآثار أحداث السيرة النبوية من بدايات البعثة وأحداث الهجرة والإسراء ومواقع معارك بدر وأحد والأحزاب وحنين وصلح الحديبة وغيرها من المواقع والأحداث التي تناولها القرآن الكريم أحد هذه المنبّهات، بحيث أن الفرد الذي يزور الأماكن التي جرت فيها هذه الأحداث يشعر وكأنه يقرأ القرآن وهو يقص أحاديث هذه الأحداث، مما يجعل الفرد يستشعر عظمة الدين وحجم التضحيات التي بذلها الأجداد والمسلمون الأوائل من أجل إقامته، وهو ما يكسب الفرد إيمانا أعمق وتشبثا بقيم هذه الحضارة وثقافتها، وهو الإحساس الذي نلمسه في نفوس الحجاج إلى بيت الله الحرام ووقوفهم عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وزيارتهم لتلك الآثار الإسلامية الشاهدة على البدايات الأولى من تاريخ هذه الرسالة.

4- فكما أن هناك قلوبا بحاجة إلى منبّهات لتنشيط إيمانها فإن هنالك قلوبا حائرة هي بحاجة إلى دليل ينزع عنها هذا الشك ويكسبها اليقين الذي تهدأ به نفسها، وقصص القرآن التي تدل الآثار على وقوعها في الحقيقة، خاصة تلك التي تناولت وقائع وأحداث هي فوق طاقة البشر كانشقاق القمر أو الجبل الذي كلّم الله فيه موسى تجعل الفرد يوقن بما جاء به القرآن وتسكن وتهدأ نفسه لذلك، ولنا في أهمية الأثر المادي على قلب الإنسان عبرة في قصص بعض الأنبياء التي ذكرها القرآن ومنها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام قال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)﴾[41]، ذكر صاحب أيسر التفاسير في تفسيره لهذه الآية والهدي المستخلص منها أن (من ولاية الله تعالى لإبراهيم أن أراه من آياته ما اطمأن به قلبه وسكنت له نفسه، وزيادة الإيمان واليقين كلما نظر العبد إلى آيات الله الكونية)[42] ، وقصة حواري عيسى عليه السلام الذين طلبوا منه دليلا ماديا هو مائدة ينزّلها عليهم من السماء قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)﴾[43] ، وعندما نزلت آيات الإسراء التي أخبر النبي بها قومه وبما وقع له في الرحلة من مكة إلى بيت المقدس طلبوا منه دليلا ماديا حتى جاء من كان في القدس وأخبرهم بالأوصاف التي حدّثهم بها محمد صلى الله عليه وسلم فألزمهم الحجة.

5- البعد التربوي التعليمي للآثار الإسلامية: لقد أصبح التركيز في بناء المناهج التربوية الحديثة منصبا على إعداد الفرد للحياة الاجتماعية التي سيتفاعل ويتعامل معها، وهو ما جعل هذه المناهج تعطي مساحة واسعة لمختلف الأنشطة التعليمية التي من شأنها إقامة علاقات تفاعلية بين مؤسسة المدرسة والمحيط الاجتماعي للتلميذ وعدم الاكتفاء بالمعارف النظرية، ومن بين هذه الأنشطة التعليمية الزيارات الميدانية للمواقع والأماكن الأثرية التي تدعّم تلك المعارف النظرية وتجعل التلميذ أكثر قربا من الواقع الحقيقي، وهو ما من شأنه أن يعمل على:

- ✓ تبسيط المواد الدراسية وجعلها أكثر قربا من الواقع.
- ✓ الوقوف على جوانب من التاريخ التي تحكيه هذه الآثار.
- ✓ استشعار عظمة التضحيات التي قام بها الأجداد والتمكين الذي وصلوا إليه.

6- للآثار الإسلامية بعد معرفي من خلال المساهمة في الكتابة الدقيقة لتاريخ الحضارة الإسلامية: إن الاعتماد على الآثار في كتابة التاريخ من شأنه أن يجعل هذه الكتابة أكثر دقة وموضوعية، خاصة في تدقيق بعض المواقع والأماكن التي ذكرت أو جرت بها بعض الأحداث، ويرجّح في الخلاف الذي قد يحدث في الاختلاف حول بعض الأماكن، فإذا كانت الآثار الإسلامية موجودة فلا يمكن أن يقول مؤرخ أن هذا الصحابي مات في دمشق مثلا وقبره موجود في المدينة أو أن غار حراء الذي نزل به الوحي في جبل عرفات بما أن مكان الغار معلوم وموجود.

7- التنشئة الاجتماعية: إن البحث الأثري هو السبيل الوحيد المساعد على استنطاق أوجه الحياة في المجتمعات التي وُجدت قبل اختراع الكتابة منذ خمسة آلاف عام تقريبًا [44]، هذا ما يقرر العلماء والباحثون، فإذا عدنا إلى القرآن الكريم فإنه نقل إلينا العديد من قصص الأنبياء والصالحين والأمم التي سبقت ظهور الإسلام، كما نقل إلينا العديد من المشاهد التصويرية للأحداث التي رافقت ظهور الإسلام وما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أن العديد من آياته كان سببها نزولها وقائع وأحداث وقعت في ذلك الوقت، وهي الأحداث التي قد لا يكون صداها عميقا إذا ما نقلت مشافه فقط، ولكن إذا صاحبتها آثار مادية فإن الفرد سيشعر وهو ينظر إلى هذه الآثار وكأنه يعود إلى الماضي ليعايش أحداثها وينتقل بين كل جزء من هذه الآثار ليستلهم منها دروسا ومواعظ تربوية تساهم في تنشئته الاجتماعية لأن الإنسان يتعلم من أحداث الماضي، فإذا وقف الفرد على آثار سيدنا يوسف مثلا عليه السلام فإنه دون أدنى شك سيقف على المحن الذي قد تصيب الإنسان حتى من أقرب الناس إليه وما يفعله الحسد بالإخوة وعاقبة الحاسد في الدنيا ومحنة الغربة عن الوطن ومحنة فقدان الولد وكيد النساء وبلاء السجن والتهمة بالسرقة والكذب والخيانة وأن ابتلاء الناس قد يصيب المؤمن كما الكافر ومحنة الفقر والشدة والسفر في طلب الرزق ثم التغير الذي قد يصيب حياة الفرد من الفقر إلى الغنى

ومن الغربة إلى الوطن ومن الضعف إلى القوة والتمكين ومن العبودية إلى الحرية وغيرها من الأبعاد التربوية للقصة، التي يمكن أن تخطر في عقل الفرد لبرهة واحدة وهو يقلّب بصره على هذه الآثار، مما يجعلها تنعكس على حياته الاجتماعية، خاصة وأن المؤمن يدرك جيدا أن سنن الله باقية وما وقع بالأمس محتمل وقوعه اليوم قال تعالى ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)﴾[45]

7. وسائل حماية الآثار أو كيف نحمي آثارنا:

بعدما تبيّن لنا الأهمية البالغة للآثار على حياة المسلم وجب علينا السؤال عن الوسائل التي من شأنها حماية هذا التراث المادي وسبل الاستفادة منه:

1- زيادة الوعي بأهمية الآثار: (بدأ أحد علماء الآثار تقديمه لكتاب له حول الآثار الإسلامية والمسيحية بقوله أن قضية الوعي الأثري تعد اليوم من أهم وأصعب القضايا التي تواجه تراثنا الإسلامي والعربي)، لأنه حقيقة الفكرة هي منطلق الفعل، والإيمان بالفكرة هو السبيل الوحيد لتوجيه أفعال الأفراد، والدليل اليوم أن الآثار الإسلامية اليوم موجودة شاهدة غير أن قلة الوعي بها وبأهميتها من طرف الأفراد والمؤسسات والهيئات العامة جعل الكثير منها عرضة للتخريب والطمس والإهمال الذي قضى على الكثير منها، ولقد أعطى أحد الباحثين المهتمين بالآثار دليلا على ذلك بالآثار الكبيرة والكثيرة التي تزخر بها مصر إذ تعتبر الدولة الوحيدة التي تحوز على آثار لمختلف العصور الإنسانية، غير أن غالبية الشعب المصري لا يعرفون منها إلاّ النذر من شذر وبرر الكاتب ذلك بعدم الاهتمام الكافي بقضية الوعي الأثري وعدم إعطائها الوضع الذي تستحقه مع الأخذ في الاعتبار البعد الاجتماعي والاقتصادي[46]، ويتحقق الوعي بالآثار عبر:

1- وسائل الإعلام: لا شك اليوم أن وسائل الإعلام اليوم أضحت أهم مؤسسة للتنشئة الاجتماعية، بحيث كشفت الدراسات الاجتماعية والإعلامية الكثيرة التي تناولت الظاهرة الإعلامية أن هذه المؤسسة أصبحت مند سنوات قليلة المؤسسة الأكثر تأثيرا وتوجيها لوعي الأفراد والمجتمعات، وأصبحت السيطرة عليها من وسائل القوة لدى الشعوب، وذلك بفعل الخصائص التي تحوزها دون غيرها من المؤسسات التقليدية كالتشويق والجاذبية

والإثارة والفورية وسرعة ومساحة الانتشار والتفاعل والمرونة وسهولة الاستعمال وتعدد الجمهور المخاطب، وهو ما يجعلها اليوم الوسيلة الأكثر قدرة على بناء وعي أثري لدى الأفراد من خلال بناء برامج تكشف عن هذه الآثار وتقدّمها للمشاهد والقيام بتحقيقات وريبورتاجات لأماكن وجودها واستضافة مختصين وخبراء أثريين من أجل تعريف المشاهدين بعلم الآثار ومكتشفاته وغيرها من الرسائل والمضامين الإعلامية التي من شأنها العمل على بناء وعي أثري لدى الأفراد.

2- المؤتمرات والمهرجانات والندوات والملتقيات التي يستدعى لها الباحثون والعلماء والمكتشفون والمنقبون لتقديم بحوثهم وأعمالهم ومناقشة سبل تطوير هذا العلم وتعريف المجتمع بكل ما يخص هذا العلم وقضاياه مما يضاعف الاهتمام بالآثار.

3- نشر الكتب والموسوعات والخرائط والأدلة التي تعرف بهذه الآثار وتبرز أماكنها ومواقع وجودها حتى يتسنى لأفراد المجتمع زيارتها والتعرف عليها.

4- عبر المناهج التربوية: وذلك بتضمين دروس تتعلق بالآثار داخل هذه المناهج وجعلها من بين الأنشطة المدرسية التي يؤخذ الطلاب والتلاميذ إلى زيارتها، وذلك قصد تكوين ثقافة أثرية لدى التلاميذ حول هذه الآثار وما تتضمنه من دروس وما تحكيه من عبر.

5- تكثيف الإرساليات والبعثات الميدانية الخاصة بالتنقيب والكشف عن الآثار.

6- القيام بالدراسات والبحوث الأثرية والعمل على تمويلها من طرف الجهات المختصة والمهتمة.

7- القيام بترميم الآثار القديمة والحفاظ عليها خاصة من العوامل الطبيعية التي يمكن أن تتعرض لها.

8- العمل على تكوين مختصين في علم الآثار والتنقيب الأثري ولما لا الاستعانة بتجارب الدول الغربية التي لها خبرة كبيرة وطويلة في هذا الميدان، بل إن هذه الخبرة هي من كانت السبب في اكتشاف العديد من الآثار العربية والإسلامية.

9- نشر الوعي الديني حول الآثار: وذلك حتى لا يكون فعل بعض السلوكيات البدعية والشركية من جهلة الدين ذريعة عند البعض الآخر من أجل القضاء على هذه الآثار

وهدمها، خاصة وأن الكثير منا نتعوّد على الحلول السهلة والسريعة، فعلاج مظاهر الشرك والبدعة التي قد توجد عند بعض الأفراد نتيجة اعتقادهم الخاطئ حول هذه الآثار وخاصة ما تعلّق منها بقبور الصالحين لا يعالج بهدم وتخريب هذه القبور أو الأماكن، بل يعالج بنشر العقيدة الصحيحة وتخليص الدين من الشوائب التي ألصقت به، لأن الفكرة لا تقوى عليها إلاّ فكرة أقوى منها، وهل نزع هذه القبور والقباب وغيرها من الآثار وهدمها سينزعها من قلوب المعتقدين بها إذا كانوا يؤمنون ببركتها، قطعا لا، وإنما لا ينزعها من قلوبهم إلا التوعية الدينية، والدليل أن أغلب هذه الآثار كانت موجودة زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والرعيل الأول ولكنهم لم يعتقدوا بنفعها أو ضرها وذلك لسلامة إيمانهم وعقيدتهم، فما علينا إلا العمل على إعادة قلوب الأفراد إذا إلى معينها الصافي الأول.

4. خاتمة:

لقد قصّ علينا القرآن الكريم قصصا عن حياة الأنبياء وأقوامهم ومجتمعاتهم وقصصا لشعوب مرت على هذه الأرض وعن أوضاعهم الاجتماعية والتربوية والسياسية التي عاشوها، وقصصا وأحاديث عن تلك الأحداث والوقائع التي صاحبت اللحظات الأولى من نور الحضارة الإسلامية وما وقع للمسلمين في جهادهم من أجل إظهار هذا الدين عبر حروب وبطولات خاضوها ومحن وابتلاءات عارفوها، وهي القصص التي ستبقى آثارها من مواقع وأماكن ومنجزات أبدعتها سواعدهم ومخلّفات مادية وطبيعية شاهدة عليها تحكي تاريخها لآلاف السنين جيلا بعد جيل، تعكس لها أبعادا تربوية مختلفة، تجعل المسلم موصولا بتراث أجداده ومتشبعا بقيم ثقافته ومحافظا على هويته وأصالته، ومدركا لعبقرية أسلافه ومستلهما منهم الدروس والعبر.

وهو الوضع الذي يحتّم على مؤسسات المجتمع والفاعلين داخل أسواره والمتحكّمين في أطواره بالعمل على الاهتمام بهذا التراث المادي العظيم والإرث الحضاري الكبير بالحفاظ عليه بالترميم والتنقيب ونشر الوعي والبحوث والأدلة المعرّفة به، وذلك حتى يؤدى دوره على أكمل وجه ليس على المستوى التربوي والثقافي والاجتماعي فقط وإنما كرافد جديد من روافد الاقتصاد المستديم.

5. هوامش البحث:

[1]- مجلة البيان، العدد 162 صفر 1422 - مايو 2001 ، ص 6.

[2]- سورة الحديد، الآية 27.

[3]- سورة غافر، الآية 21.

[4]- سورة الصافات، الآية 70.

[5]- سورة طه، الآية 84.

[6]- سارة طليب عبد الغني الدراوشة، **أثر المباني التراثية في تحقيق تنمية سياحية مستدامة**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة الأردنية، 2013، ص13.

[7]- نفس المرجع السابق، ص15.

8- زغريد هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فؤاد علي، مكتبة رحاب، قسنطينة، الجزائر، 1986، ص152.

[9]- شوقي أبو خليل، **أطلس القرآن، أماكن مواقع وأعلام**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2003، ص25.

[10]- شوقي أبو خليل، مرجع سابق، 36.

[11]- سورة آل عمران، الآية96.

[12]- سورة المائدة، الآية 97.

[13]- سورة الزخرف، الآية31

[14]- سورة الإسراء، الآية 1.

[15]- سورة التوبة، الآية 40.

[16]- سورة التوبة، الآية 108.

[17]- سورة آل عمران، الآية 123-126.

[18]- سورة آل عمران، الآية 152.

[19]- سورة الأحزاب، الآية 11-12.

[20]- سورة آل عمران، الآية 172-174.

[21]- سورة آل عمران، الآية 12.

[22]- سورة الحشر، الآية7.

[23]- سورة النساء، الآية 51-52.

[24]- سورة الأحزاب، الآية 25-27.

[25]- سورة الفتح، الآية 18.

[26]- سورة التوبة، الآية 25.

[27]- سورة يوسف، الآية 111.

[28]- - سورة يونس، الآية 92.

[29]- سورة القصص الآية 38.

[30]- سورة النازعات، الآية15 - 26.

[31]- سورة فصلت، الآية 5.

[32]- سورة غافر، الآية 21.

[33]- سورة الروم، الآية 9.

[34]- نذير حمادو، **تيسير مصطلح الحديث**، ج2، د ون ذكر دار النشر، سطيف ، 1990، ص135.

[35]- محمد أحمد عبد اللطيف، **أبرز المعالم الأثرية والسياحية الإسلامية والمسيحية في مصر والعالم**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2011، ص413

[36]- نفس المرجع السابق، ص410.

[37] - http://alwaei.gov.kw/site/pages/ChildDetails.aspx?PageId=382&Vol=

[38]- سورة الشعراء، الآية 123-139

[39]- شوقي أبو خليل، مرجع سابق، 36.

[40]- سورة الشعراء، الآية 141-149

[41]- سورة البقرة، الآية 260.

[42]- أبي بكر جابر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط5، مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة، 2000، ص122.

[43]- سورة المائدة، الآية 112-113.

[44] -http://www.archaeologic.net/cmds.php?action=newsopen&id=12

[45]- سورة فاطر، الآية 43.

[46]- محمد أحمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص15.